الثورة
الجمعة 8 رمضان 1433هـ 27 يوليو 2012م العدد (17419)

قصة مدينة مساجدها بعدد أيام السنة

تريم.. مدينة القصور والمآذن

صالح البيضاني

■ تعتبر مدينة تريم واحدة من أهم مدن حضرموت نظرا لمكانتها التاريخية والدينية والثقافية على مر العصور ..ماجعل منها واجهة يقصدها الباحثين عن سياحة الروح والعقل ..فبين جنبات المدينة القديمة تقع اليوم أهم أربطه ومدارس العلم الشرعي إلى جانب مكتباتها الثرية وجوامعها العريقة التي تعانق مناراتها البيضاء عنان السماء وتقف بشموخ آثار قصورها التي كانت مساكن للملوك وسلاطين سكنوا المدينة وسكنت فيهم.

أنها قصة مدينة ارتبطت فيها انجازات المادة بقيم الروح فكل مبنى له قصة وكرامة وكل حائط يحكي تاريخ غابر منذ نبي الله هود الذي مازال قبره مزارا وتذكارا لمدينة يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع قبل الميلاد حيث يرجع الباحث سعيد عوض باوزير في كتابه (معالم تاريخ الجزيرة العربية) تأسيسها إلى عهد الحكم السبئي لحضرموت مشيرا إلى أنها سميت باسم أحد أولاد سبأ الأصغر أو باسم القبيلة التي من تريم هذا). .فيما يقول ياقوت الحموي في كتابه الشهير (معجم البلدان) ،أن تريم إحدى مدينتي حضرموت.. لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها ومدينتيها شبام وتريم هما قبيلتان سميت المدينتان باسميهما. كما يقول المرتضى الزبيدي صاحب كتاب(تاج العروس)أن تريم سميت باسم بانيها تريم بن حضرموت.

منارات وقصور

لعبت مدينة تريم دورا كبيرا في خدمة الإسلام ونشر العلوم الدينية وتعليمها منذ أن اشتهرت في مطلع العصر الإسلامي كعاصمة لوادي حضرموت حين كان يقيم فيها العامل (لبيد بن زياد الأباضي) وقد كانت تريم العاصمة السياسية لوادي حضرموت في عهد ملوك كندة وبقيت كذلك حتى العام 1521م عندما استولت عليها الدولة الكثيرية .. كما كانت ومازالت تعد كعاصمة حضرموت الدينية من خلال انتشار المدارس الدينية والعلماء الذين وصلت آثارهم إلى كل أرجاء الأرض وكان لهم الدور الكبير في نشر الإسلام في دول شرق آسيا والهند وأجزاء من القارة الإفريقية مع بدايات القرن الثاني عشر الهجري عندما هاجر الكثير من أبناء تريم إلى أفريقيا وجنوب شرق آسيا بغرض التجارة ولازالت المدينة حتى اليوم مقصد رئيسي للراغبين في تعلم العلوم الدينية من مختلف أنحاء العالم .

وقد اشتهرت تريم بكثرة مساجدها التي تجاوز عددها ثلاثمائة وستون مسجداً ، وهو عدد كبير مقارنة بحجم المدينة وعدد سكانها ولكنه يحمل دلاله خاصة من خلال اقترابه من عدد أيام السنة كما يقول البعض.. ومن أشهر مساجد المدينة جامعها الذي يرجع تاريخ بنائه إلى العام (375 – 402هـ) ، حيث بني في عهد الحسين بن سلامة الذي ولي الحكم في اليمن عام (375هـ) و تصل مساحة الجامع إلى (1910 قدماً مربعاً) ، وتحمل سقفه ستون دعامة أسطوانية ، قطر الواحدة (16 بوصة) ، وللمسجد ثمانية أبواب ، وتزينه المنارة التي بنيت في منتصف الجدار الشرقي للمسجد ، ويبلغ ارتفاعها (115 قدماً) ، ويضم الجامع بين جنباته مكتبة الأحقاف التي تحتوي على عدد من أندر الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية في مختلف مسائل الدنيا والدين يصل عددها إلى حوالي (5300) كتاباً مخطوطاً في شتى المعارف والعلوم (التفسير ، الفقه ، الحديث، الأدب ، التاريخ ، السيرة النبوية ، الطب ، الرياضيات ، الفلك) والتي يعود تاريخ معظمها إلى القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، أما أقدمها فيعود للقرن الخامس الهجري ويتميز بعضها بالندرة مثل النسخة الأصلية لتفسير السيوطي و نسخة الجزء الثاني من كتاب القانون في الطب لأبن سيناء تعود لسنة 633هجرية كما يوجد بالمكتبة نسخة في جزئيين بخط بديع ومزين بالذهب لكتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي نسخت سنة 763هجرية .

ومن أشهر مساجد تريم كذلك مسجد المحضار الذي يتميز بمنارته البيضاء المربعة التي يبلغ ارتفاعها (175 قدماً) ، وقد تم بناؤها عام (1333هـ) من الطين وجذوع النخيل ، وهي من تصميم الشاعر والأديب أبوبكر بن شهاب المتوفي في عام (1334هـ) . . والجامع يعد من أبرز مظاهر التفرد المعماري التي تتميز به المدينة والذي يتجلى خصوصا في بناء مناراتها الشاهقة والتي تتميز بشكلها المربع أو المخروطي الذي يضيق كلما ارتفع البناء الذي غالبا ماتستخدم فيه المواد التي عرفت بها المنطقة وهي الطين وأعواد النخيل أما من حيث مكونات المساجد عموما في المدينة فقد حافظت على التكوين التقليدي للمساجد في اليمن مع الاختلاف في الأسلوب الفني الذي تأثر فيه أهل المدينة بأساليب البناء في دول شرق آسيا التي عاشوا فيها كما هو الحال مع الأديب والعالم بن شهاب الذي عاش جزءا كبيرا من حياته في الهند وعدد من الدول الإسلامية وهو الأمر الذي انعكس بشكل واضح على أسلوب تصميمه لمسجد المحضار ومنارته التي يقول بعض الباحثين المعماريين أنها اتخذت «شكلا جديدا للمنارة لم تعهده المنطقة» وأن ذلك الشكل استوحاه المصمم « من وحي عمارة المآذن التي سادت في بعض المناطق التي قطنها ، ألا وهي العمارة المربعة» حيث دخل هذا الأسلوب «ولأول مرة في تاريخ العمارة الطينية في حضرموت من خلال بناء منارة مسجد مربعة القاعدة هرمية الشكل بهذا الارتفاع « حيث تعد منارة جامع المحضار» أول وأطول منارة طينية مربعة الشكل في وادي حضرموت بل وفي العالم أجمع « كما يقول بعض المهندسين والباحثين في تاريخ العمارة الإسلامية في اليمن .

وقد تحدث عن المنارة الرحالة فاندر ميولن عند زيارته لتريم في العام 1931م واصفا إياها بالقول :(هذه المئذنة مبنية على النسق الحديث ، المآذن الحضرمية الأصيلة هنا مستديرة وتضيق قليلا عند القمة ... وفي قمتها عمدان صغيرة تقف عليها القبة ويبرز اللون الأصفر الشاحب واضحا عكس السماء الداكنة الزرقة وفوق أشجار النخيل بألوانها الرمادية الخضراء ، ولكن هذه المئذنة مربعه وملونه بالأزرق والأبيض وبها العديد من النوافذ الصغيرة وتزينها حواش رمادية وهي تضيق أيضا عند القمة حيث هناك سلالم لولبية من الطين لا تناسب إلا الأشخاص النحاف ، وفي القمة أيضا قبة صغيره بها أعمده يقف عليها السقف).

وتضم مدينة تريم بحسب إحصائية رسمية لإدارة المدينة 59 موقعا تاريخيا ودينيا بارزا يأتي على رأسها القصور التاريخية التي تشتهر بها المدينة مثل «قصر الكاف عشه « و « قصر المنيصورة « و قصر عبدالرحمن بن شيخ الكاف» إضافة إلى سور المدينة القديم وبواباتها وحصونها مثل «حصن الرناد» و حصن العز» و» حصن غرامه « .. كما تشتهر تريم بوجود قبر نبي الله هود والذي تقام الزيارة له في منتصف شهر شعبان من كل عام . .ويبعد القبر عن مدينة تريم 90كم باتجاه الشرق، ويقع على ربوة مرتفعة و يعود تاريخ بناءها بشكله الحالي إلى العام 1673م.

والى جانب اشتهار المدينة بمعالمها الدينية و كثرة علمائها فقد عرفت تريم كذلك بكثرة شعرائها وأدبائها الذين تغزلوا وتغنوا بمآثرها كما هو حال الشاعر المعاصر جنيد محمد جنيد الذي يقول في إحدى قصائده في وصف المدينة :

«لم تزل مثلما عبرتنا صغاراً
تريم التي أمس كنا
قرأنا على سورها القرمزي...
حديث الطفولة..أدعية الأولياء
قرأنا قبور النخيل التي صرخت
فوق مجرى المياه...
رسمنا تريم التي بسطت ساعديها
بوادي الهوى
تتراقص بين الزوامل..بين الهبيش».

نهاراتٌ غير مشمسة

عبدالمجيد التركي

■ أنصتُ الآن إلى موسيقى الجنائز، إنها الموسيقى التي لا يتقن عزفها سوى السكان العُلويين.. هناك المزيد منها وسنفاجأ به لعدم اعتيادنا عليه !

ستتآكل الأكفان من شجن الموسيقى التي ستُنظِّم العرض..

وسنبدو مندهشين وواجمين للمرة الأولى التي نسمع فيها هذه المعزوفة التي كنا نقرأ عنها ولا نقدر على تخيُّلها !!

سيكون البعيد حينها أقرب إلينا من أصابعنا..

وستكون الأماني أشبه بشهادات معلّقة على الجدران.. شهادات لا تهمُّ أحداً حتى أصحابها..

لأننا حينها سنكون خرجنا من نفق الأمنيات الصغيرة إلى رحابة التحقّق والوجود والموجود..

وستكون الأرض حينها مليئة بالمومياوات لمن أراد أن ينزل لتنقيبها واستكشافها، وسنفاجأ بما تبقى على الأرض من الآثار.

لن نحتاج إلى خريطة لتحديد هذا الكنز لأننا سنكون خارج التقويم .

سيكون قوس قزح حاضراً وفي متناول الأطفال..

وسيعلقون عليه أراجيحهم .

ولن يكون للقمر داعٍ حينها ..لأن الموسيقى ستكون هي المضيئة ..

ستكون النجوم معلّقة كعقود الفلِّ على صدور المزدحمين هناك.

للعابرين طرقات كثيرة وجسور معلّقة كالخرافة..

أخشى أن نكون مصابين برهاب الجسور !!..

حينها سنكون بوجوهنا الحقيقية، وسنخلع كلّ الأقنعة التي كنا نتظاهر خلفها بأننا سوانا.. لأننا سنكون في عالم الحقيقة المطلقة.

حتى زهرة عبّاد الشمس ستجد لها آلهة جديدة تعبدها غير الشمس.. وستدرك كم كانت حمقاء بعبادتها لذلك القرص المُنْهَك .

ذات مرة كنتِ أغرق في البحر ولم أشعر... لأنني كنت مندهشاً بمشاهدة الأسماك الملونة..سأكون حذراً، لأنني سأرى نفسي في شاشة عرض كبيرة.

شاشة العرض هذه أعرفها.. لن تكون محصورة بأبعاد ثلاثة.. لأننا سنكون في أكثر من بُعد..

ولن يكون الزمان والمكان أكثر من تعريف في كتب النحو) :ظرف زمان / ظرف مكان(.

سنحتاج إلى ليل لا يكون مصفداً بالقناديل..

وإلى نهارات غير مشمسة.

اصدارات ثقافية

اللغة والبلاغة

■ القاهرة . يسعى كتاب «البلاغة والتواصل عبر الثقافات» للدكتور عماد عبداللطيف للوصول إلى فهم عميق وشامل للعوامل اللغوية والاتصالية والبلاغية التي تؤثر في التواصل بين الثقافتين العربية والغربية. ويقوم في سبيل تحقيق ذلك بتتبع الخصائص اللغوية والبلاغية والاتصالية للثقافتين العربية والغربية، ويقارن بينها، ويستكشف الآثار الإيجابية أو السلبية التي قد يُحدثها اختلاف هذه الخصائص في التواصل الحالي أو المستقبلي بين العرب والغرب.

ينقسم الكتاب إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. تتناول المقدمة أهداف الكتاب ومنهجه وتقسيمه وتتضمن عرضًا نقديًا للدراسات العربية المنجزة حول موضوعه. أما المبحث الأول فيدرس السياق التاريخي والسياسي الذي نشأت فيه فكرة التواصل العربي–الغربي، كما يتعرض بإيجاز لغايات هذا التواصل وكيفياته وأنواعه وطبيعة المشاركين فيه. في حين يناقش المبحث الثاني بالتفصيل دور اللغة بشكل عام في التواصل مع الغرب؛ من حيث هي أداة للحوار من ناحية، وأداة لتشكيل الثقافات المتحاورة من ناحية أخرى. وسوف تُعالَج في هذا المبحث بعض جوانب العلاقة بين اللغة والفكر والمجتمع التي تخص الحوار العربي– الغربي.

الاتصال بين الأفراد أو الثقافات قد يكون بواسطة الكتابة أو المشافهة، والاتصال الشفاهي قد يكون بواسطة اللغة أو العلامات غير اللفظية مثل الإشارة والإيماءة وحركة الجسد والرموز والصور. ونظرا للتمايز الكبير بين كلا الشكلين من الاتصال فقد انفرد كل منهما بمبحث خاص؛ استنادا إلى خصوصية الحقل المعرفي الذي يدرسه، والمناهج التي يستخدمها. فالمبحث الثالث يتناول التواصل مع الغرب من منظور بلاغي؛ ويعالج تأثير اختلاف الأنماط البلاغية للثقافتين العربية والغربية على الاتصال الكتابي بينهما. ويتم فيه اقتراح بعض الإجراءات التي قد تؤدي إلى تحييد الأثر السلبي لهذا الاختلاف أو تقليله من ناحية، وتدعيم الأثر الإيجابي من ناحية أخرى. ويستند هذا المبحث إلى زخم من الكتابات الأكاديمية التي أنتجت على مدار العقود الأربعة الأخيرة في إطار البلاغة التقابلية وتطويراتها فيما يُعرف بالبلاغة بين الثقافي. وهي حقل معرفي معني بالمقارنة بين أساليب ونظم اللغة المكتوبة في لغات وثقافات مختلفة.

أما المبحث الرابع فيتناول خطوات الاتصال الشفاهي بين العرب والغرب. كما يدرس تأثير اختلاف الثقافتين العربية والغربية على دلالة العناصر غير اللغوية مثل الإشارات والأصوات والحركات..إلخ، وعلى طرق استخدامها، وأثر ذلك على التواصل بينهما سلبًا أو إيجابًا. وفي سياق ذلك سوف تُقدّم اقتراحات وتوصيات لتقليل الأثر السلبي الذي قد تمارسه هذه الاختلافات الثقافية على التواصل القائم أو المتوقع بين العرب والغرب، وتعزيز الأثر الإيجابي لهذه الاختلافات. ويفيد هذا المبحث من بعض المنجزات الأكاديمية الهامة في حقل دراسات الاتصال بوجه عام، وحقل دراسات الاتصال بين الثقافات بوجه خاص.

وأخيرا تأتي الخاتمة لتتضمن النتائج العامة للبحث ولائحة ببعض التوصيات الموجهة للأفراد أو المؤسسات العربية المشاركة في التواصل العربي – الغربي، وقائمة تتضمن الموضوعات التي أقترح أن تدرس بشكل أكاديمي لسد بعض الفجوات الموجودة في المعارف العربية الضرورية لإنجاح عمليتي فهم الغرب والتواصل معه.

نهاية العالم السعيدة

■ حاول الإنسان عبر العلم، وكما هو معروف للجميع، السيطرة على الطبيعة المحيطة. ولكن تطور العلوم بمختلف مشاربها، وما ترتب على ذلك من تقدم تكنولوجي هائل، دفع إلى التساؤل عن كيفية السيطرة على العلم نفسه.

ويعالج مؤرخ العلوم والأستاذ في المعهد الملكي البريطاني، جان باتيست فريسوز في كتابه الذي يحمل عنوان «نهاية العالم السعيدة»، موضوع: تاريخ الخطر التكنولوجي، كما جاء في العنوان الفرعي.

ويشير المؤلف في مقدمة الكتاب، إلى أن بعض المحللين يرددون مقولة مفادها ان العالم دخل منذ فترة وجيزة، في نوع من «الحداثة المتأملة». وذلك من أجل تمييزها عن تلك الحداثة المرافقة سابقا للثورة الصناعية الكبرى التي يتم وصفها بأنها عمياء لما تتضمنه من مخاطر بالنسبة للبيئة، وما ينذر به ذلك من كوارث ترتسم في أفق الإنسانية.

وينطلق مؤلف كتاب: «نهاية العالم السعيدة»، من نقطة مهمة، وهي انه من أجل تجنّب تدمير البيئة وتهديد مصير الأجيال القادمة، لابد من كتابة تاريخ سياسي للمخاطر التكنولوجية، وللبحث والتأمّل في كيفية إيجاد آليات، وأيضا سبل ضبطها على المدى الطويل.

ويجد المؤلف ان الخطوة الأولى في كتابة مثل هذا التاريخ، كما يبدو من الفصول الافتتاحية للكتاب، تكمن في استعراض الكيفية التي دخلت فيها كل من فرنسا وانجلترا إلى حقبة الحداثة الصناعية. وذلك بالتحديد خلال نهايات القرنين: الـ18 والـ20. فتلك الفترة، عرفت اختراع اللقاحات ضد الأمراض، وأيضا تصنيع الآلة البخارية، ومن ثم المحرّك الانفجاري والقطارات والمنتجات الكيميائية.

وفي الفصول اللاحقة، يستعرض المؤلف بعمق أكثر، طبيعة النقاشات الحية وأشكال الجدل التي أثيرت حول المخاطر، وكذا مصادر الأذى الناجمة عن مبتكرات التجديد الصناعي والتكنولوجي، وبشكل أوسع، حول المجتمع الصناعي عموما.

ما يؤكده جان باتيست فريسوز، هو أن المجتمعات التي عاصرت الحقب الأولى للتصنيع، خاصة في فرنسا وانجلترا، اللتين كانتا مهدا أساسيا للثورة الصناعية الكبرى، لم تقم بتخريب غير واع للبيئة. ولكنها كانت على درجة كبيرة من إدراك المخاطر المترتبة على ثمرات تلك الثورة الصناعية، وتكنولوجياتها الجديدة، ذلك بالنسبة للصحة البشرية والبيئة المحيطة.

إن تلك المجتمعات الصناعية، خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وطيلة القرن التاسع عشر، اختارت، عبر إجراءات صغيرة باتجاه الابتعاد عن القوانين الاجتماعية السائدة وبشكل تدريجي، اختارت تجاوز مناخ الخوف، مع إدراكها أن لذلك الخوف مبرراته الواقعية، وأن الأخطار التي كانت تطرح في العديد من النقاشات، لها أساس على أرض الواقع.

واختار مؤلف الكتاب، أن لا يكتفي باستعراض المقولات النظرية والآراء التي تكررت في النقاشات المذكورة. ولكن التدليل على وجود المخاطر الناجمة عن التكنولوجيات الجديدة، عبر مجموعة من الأحداث. « .

ويجمع المؤلف، في الصفحات الأخيرة من الكتاب، بين تاريخ العلوم ونوع من التأمل الفكري حول آليات فرض السيطرة عبر العلم، على الآخرين، وذلك يتم غالبا باسم ومبرر: «التقدم».

واللافت للانتباه، أنه هناك اليوم، من يردد أن هذا التقدم يقوم أصلا على فكرة الكارثة، موضحا أن الحداثة أصبحت متأملة، وليست عمياء، كما كانت في زمن الثورة الصناعية (بنسختها السابقة). ولكن مؤلف الكتاب، يعود الى التاكيد، في محصلة تحليلاته، على ان مخاطر التكنولوجيا، تبقى حقيقة قائمة.

المؤلف في سطور

يعمل مؤلف الكتاب، جان باتيست فريسوز، أستاذا في المعهد الملكي البريطاني في لندن، منذ عدة سنوات. وهو مؤرخ متخصص في مجال تاريخ العلوم والتقنيات ومسائل البيئة.

الكتاب: نهاية العالم السعيدة تاريخ الخطر التكنولوجي
تأليف: جان باتيست فريسوز
الناشر: سويل
باريس 2012
الصفحات: 312 صفحة
القطع: المتوسط

تاج الهدهد

■ دبي – رشحت الدار المصرية اللبنانية رواية "تاج الهدهد" الصادرة حديثا للكاتب المصري ناصر عراق للجائزة العالمية للرواية العربية الدورة السادسة 2013 المعروفة إعلامياً باسم "البوكر العربية" .

تدور أحداث الرواية في القاهرة قبل اندلاع الثورة المصرية الراهنة بأشهر قليلة، من خلال رصد أحوال معتز المخرج الصحفي الشاب المفتون بالحيوانات والطيور، الذي يعمل في جريدة معارضة شكليا فقط لنظام مبارك، ثم يجد نفسه فجأة مشاركا في الثورة، مع أصدقائه المقربين، بعد انخراطه في غرام زميلته في العمل التي لا تبادله الشعور نفسه، فيجد نفسه هائماً في دنيا الغابات والأحراش متأثرا بتعاليم وأقوال جدته (مأثر) بحثاً عن ذاته المتوترة والمرتبكة وسط صخب الثورة وشهدائها. وتسعى الرواية إلى مزج الواقع بالخيال في حبكة تنهض على التشويق والإثارة من خلال الغوص في عالم الحيوانات والطيور ومدى علاقتها بالبشر.

ومن الرواية نقرأ: طرق مسامعي صوت أذان الفجر، فانتابتني حيرة عظيمة، كيف سأقوم بأداء واجباتي الدينية، وأنا محشور في هذه الهيئة غير البشرية؟ وهل يمكن لفأر صغير مثلي أن يتوضأ ويصلي؟ أدرك تماما أن الله عز وجل أسقط التكليف عن الحيوانات لأنها لا تعي ولا تقدر، لكنني أعي وأفهم، وأخشى حساب المولى يوم تقوم الساعة، وبالتالي علي أن أجد الوسيلة التي تجعلني أمارس طقوسي الدينية دون أن ينتبه أحد.

يشار إلى أن ناصر عراق قام بتوقيع الرواية في مكتبة ديوان بالزمالك قبل أسبوعين، كما أصدر عدة كتب منها كتاب "تاريخ الرسم الصحفي في مصر" الذي نال الجائزة الأولى في مسابقة أحمد بهاء الدين الدورة الأولى سنة 2000، و"الأخضر والمعطوب في الثقافة والفن والحياة"، وروايات "أزمنة من غبار"، و"من فرط الغرام"، و"العاطل" التي وصلت إلى القائمة القصيرة للبوكر العربية الدورة الخامسة 2012.

عزيزي المستهلك:
عند شراء الأسماك تأكد من أن لون الخياشيم أحمر وردي وأن ملمس الجلد غير مخاطي وأن تكون العيون براقة وليست غائرة واللحم متماسك.
مع تحيات الجمعية اليمنية لحماية المستهلك